فانبرى منهم أشقاهم: عقبة بن أبي معيط يقول: أنا أفعل، واحتمل القذر فألقاه على النبي وهو ساجد، فانفجروا ضاحكين. ولم يرفع محمد من سجدته، حتّى أتت الزهراء فطرحت عن ظهره تلك البقايا، وهي تلحي القوم، وتذمّهم بما هم أهله، أمّا الرسول فما أن قضى الصلاة حتّى التفت إلى العصبة الحاقدة، ثم رفع عينيه وكفّيه للسماء، داعياً ا: «اللّهم اجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف اللّهم، عليك بأبي الحكم ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، وأُمية بن خلف..»[421]. وبهتوا... سيطر عليهم الوجوم فبدوا كالأصنام، اختنقت ضحكاتهم في الحلاقيم، ولم يبق فيهم عصب واحد إلاّ انتفض بالفزع والارتياع. ومع ذلك فلا يكاد يجنّهم ليل حتّى يتبدّد في أحلامهم ما لاقوا في نهارهم من ذلّة الفشل والانكسار، ثم لا يكاد يطلعهم صبح حتّى تتجدّد خفّة عقولهم، وتزداد مع ارتفاع النهار. * * * ذات صحوة، اندفعت أُم جميل زوج أبي لهب، وهي شعلة من البغضاء والعداوة إلى النبي، حيث يجالس عند المسجد الحرام ـ كمألوف عادته اليومية ـ بضعةً من أصحابه، كانت قد سمعت أنّه أذاع في الناس أنّ ربّه أنزل فيها وفي بعلها كلاماً يقول: (تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَب وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَب * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَد)[422].